

الأزمة السورية وتأثيرها في معادلة المصالح الإيرانية التركية

أ.م. د محمد كريم كاظم*

أكاديمي وباحث من العراق

*رئيس قسم السياسة الدولية - كلية
العلوم السياسية - جامعة النهدين.

مقدمة

تعرضت المنطقة العربية إلى موجة من التغيير بسبب الثورات التي اجتاحت العديد من الدول العربية منذ أواخر العام ٢٠١٠ والتي تجاوزت مفاهيم الفكر السياسي في الثورات العربية على الرغم من إنها جاءت على حين غرة لتفاجئ الجميع، فقد أسهمت بإحداث تغييرات في بنية منظومة الشرق الأوسط والتي اختلفت من دولة إلى أخرى بعضها كانت عنيفة فيما البعض لم تشهد أعمال عنف، غير إن العديد لم يكن يتوقع إن تمتد هذه الثورات إلى سورية لتشكل صدمة بالنسبة إلى الفاعلين الإقليميين كل من إيران وتركيا لكون سورية تشكل نقطة ارتكاز وأهمية لكل منهما في مشاريعه الإقليمية.

وقد شهدت سياساتهما تطوراً جاءت انعكاساً لاستقرار تطورات المشهد السوري، لكونها تشكل دائرة الاشتراك وانكشاف مواقفهما من الأزمة السورية لتعيد رسم سياستهما لتكون واحدة داعمة لسورية والأخرى معادية له، تنطلق من التصورات التي يرسمها كل طرف نظراً لما تشكله لهما سورية من أهمية جيو - استراتيجية في نفوذه الإقليمي لتضعهما إمام اختبار جدي في كيفية التعامل مع هذا المشهد، وعلى الرغم من حالة التصادم التي وصل إليها الطرفان بسبب مواقفهما المتناقضة غير إنهما يرتبطان بمصالح مشتركة ويسعيان نحو موازنة مصالحهما من أجل الاستفادة على المستويين الإقليمي والدولي.

تكمن أهمية هذا البحث في محاولته فهم وتحليل التصورات الإيرانية والتركية

للازمة السورية ومدى انعكاساتها المترتبة في سياساتها المعتمدة في التعامل معها ولا سيّما في إطار مساعيها الاستراتيجية لسط النفوذ والسيطرة على المنطقة في ظل دور وموقع سورية الجيوستراتيجي والجيوسياسي في الخريطة الاستراتيجية لكلا الطرفين .

في هذا الإطار تأتي الإشكالية التي ينطلق منها هذا البحث بأن المشهد السوري وضع كلاً من إيران وتركيا إمام مفترق ليكشف عن حجم التناقضات في المواقف والرؤى في إطار الحدود لدوريهما في المنطقة العربية، فإنه تبقى الإجابة على العديد من التساؤلات الجوهرية ذات الصلة بالموضوع وهي :

- ما هي بدائل كل طرف في مواجهة الآخر؟ وما هي مجالات التأثير والتفاعل فيما بينهما؟

- ما هي الأسباب الحاكمة وراء موقفيهما من الأزمة السورية؟ وما هي الدوافع؟

وينطلق البحث من فرضية مفادها إن التطورات في الأزمة السورية سيكون لها انعكاسات على المصالح الإيرانية التركية، وسيؤثر على دورهما الإقليمي، ويترتب على ذلك ضعف منظومة المصالح لكل من تركيا وإيران في الشرق الأوسط .

أولاً: المحددات الحاكمة لاختلاف الموقفين الإيراني التركي من الأزمة السورية

أوجدت الثورات العربية واقعاً سياسياً جديداً في المنطقة العربية تستفيد منه الدول كلها حتى تلك التي لم يمر بها ربيع الشعوب العربية والإقليمية، هذا الواقع يجعل الحكومات تنظر بحساسية أكبر إلى أي نوع من المتغيرات الإقليمية في المنطقة ولهذا تباين مواقف الدول الإقليمية حيال الأزمة السورية تبعاً لمصالحها وأهدافها فقد شكل اندلاع الأزمة السورية اختباراً لطبيعة التوازنات الإقليمية لكل من إيران وتركيا ولا سيّما وأنهما الأكثر قرباً إلى سورية .

شكل اندلاع الأزمة السورية اختباراً لطبيعة التوازنات الإقليمية لكل من إيران وتركيا.

1 - محددات الموقف التركي

جاءت حركات التغيير العربية لتضع تركيا تحت الاختبار الجدي في واحدة من أكبر التحولات في تاريخ تركيا الحديث، ولتشكل حداً فاصلاً بين مرحلتين من سياسة تركيا الخارجية في ظل سلطة حزب العدالة والتنمية ولم تكن تركيا تتوقع حصول ثورات عربية لذا تفاجئت بها... وقد اتسم أداء الدبلوماسية بالارتباك واختلطت المصالح بالمبادئ... ولكن مع الوقت كانت تركيا تبلور سياسة أكثر وضوحاً⁽¹⁾.

أدركت تركيا أهمية سورية الجيوستراتيجية منذ مدة طويلة، فقد عدتها المحور الأساس لسياسة تركيا على صعيدين على الأقل: الأول مرتبط بالسياسة التركية الشرق متوسطة وتوازنها إذ يشكل مثلث تركيا - سورية - مصر توازنات خط شرق المتوسط، والثاني مرتبط بالسياسة التركية في الشرق الأوسط ضمن الاستراتيجية المشرقية وكلاهما يؤلف جزءاً أساسياً من الاستراتيجية التركية⁽²⁾.

هناك عاملان أساسيان يربطان تركيا بمنطقة الشرق الأوسط، هما التاريخ والجغرافيا، وتسعى إلى أن تؤدي دوراً فاعلاً على المستويين الإقليمي والعالمي عبر الترويج لسياسة «تصفير المشكلات مع الجيران»... والهدف من ذلك هو تحويل تركيا لتصبح قوة ضمن المنظومة العالمية⁽³⁾.

وخلال هذه المرحلة، احتلت سورية أهمية قصوى في السياسة الخارجية التركية الجديدة لحزب العدالة والتنمية، وقد ساعد ذلك على بلورة الرؤية الاستراتيجية التركية للشرق الأوسط وتنفيذها (المنطقة العربية خاصة) ولطبيعة دورها فيه فكانت تركيا حاضرة في العديد من الملفات الساخنة والمتفجرة المرتبطة بـ(دمشق) والتي تمتد من لبنان إلى فلسطين والكيان الصهيوني والعراق⁽⁴⁾.

وهكذا، تعددت أنماط المواقف التركية من الثورات العربية، تبعاً لاختلاف المصالح السياسية والروابط الاقتصادية والتقديرات الأمنية، مما وضع تركيا في مأزق حتمية تبرير المواقف، خاصة بعد اختلاف موقف تركيا من ثورتها مصر وتونس عن بقية الثورات العربية⁽⁵⁾.

في المدة التي سبقت اندلاع الأزمة السورية، ظهر نوع من التوافق بين سورية

(1) العثمانية الجديدة الدور التركي في المنطقة العربية، مجلة بلادي، العدد (الثالث)، (بغداد، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، 2012)، ص 19

(2) علي حسين باكير، الإبعاد الجيو استراتيجيية للسياسيين الإيرانيين والتركيية حيال سورية، مصدر سبق ذكره، ص 516.

(3) جمعه بن علي بن جمعه، الأمن العربي في عالم متغير، ط1 (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2010)، ص 439

(4) تعد العلاقة المميّزة التركية - السورية من أبرز إنجازات حزب العدالة والتنمية الخارجية منذ مجيئه إلى السلطة في العام 2002، فبعد أن كان البلدان على شفير الحرب في العام 1998، تطوّرت العلاقات بينهما بعد اتفاق أضنه الموقع في 20 تشرين الأول / أكتوبر 1998 الذي أنهى ملف احتضان سورية لحزب العمال الكردستاني، وقد هيأ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا في العام 2002 لمزيد من التقارب مع سورية، فزار الرئيس الأسد تركيا في العام 2004، وردّ الرئيس أحمد نجت سيزر بزيارة في العام 2005، رغم الاعتراض الأمريكي الشديد من إدارة بوش الابن التي كانت تشدّد الحصار والعزل السياسي والدبلوماسي على سورية، وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر: علي حسين باكير، محددات الموقف التركي من الأزمة السورية الإبعاد الآنية والانعكاسات المستقبلية، مقال منشور على موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بتاريخ 2011/7/3، على الرابط الاتي: www.arabs48.com/?mod=articles&ID=82968

(5) نعم نذير شكر، الموقف التركي حيال التحولات العربية الراهنة، عن الموقف الإقليمي من الحراك السياسي في الدول العربية (تركيا وإيران أنموذجاً)، الملف السياسي، العدد (103)، (جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2012)، ص 13.

تركيا تبني حساباتها الإقليمية على أساس عدم إسقاط الرئيس السوري (بشار الأسد) سيجعل من (دمشق) مصدر تهديد دائم لـ(أنقرة).

وتركيا بخصوص التطورات التي حدثت في تونس ومصر، وظهر الرئيس السوري (بشار الأسد) ورئيس الحكومة التركية السابق (رجب طيب اردوغان) تفهماً بل تأييداً لمجريات الأمور في البلدين المذكورين، وتحدثنا عن ذلك في اجتماعهما في مدينة حلب بعد وضع حجر الأساس لبناء «سد الصداقة» على نهر العاصي في 6/2/2011⁽⁶⁾.

Aqeel Mahfudh, Syria and (6)
Turkey: a turning point a
historical bet, Place Name

ومنذ إن وضعت الأزمة السورية بدايتها فإن تركيا اتبعت سياسة مختلفة فاجأت القيادة السورية، اعتمدت النصح وإرسال مبعوثين أمنيين وسياسيين إلى دمشق للمطالبة بإصلاحات سريعة وحقيقية سماها وزير الخارجية السابق أحمد داود أوغلو «إصلاحات بالصدمة» انتقل التعامل التركي مع الأزمة السورية إلى مرحلة جديدة، مرحلة اتبع فيها رئيس الوزراء التركي السابق رجب طيب أردوغان لهجة غير مسبوقه حيال ما يجري عن طريق تأكيده مراراً بأن (أنقرة) لن تسمح بتكرار ما جرى في (حماة)، في إشارة إلى المواجهة الدموية التي حصلت مع الإخوان المسلمين في مطلع الثمانينات من القرن العشرين⁽⁷⁾، فقد صرح وزير الخارجية السابق احمد داود أوغلو «أنه من غير الممكن للسلطات السورية التصالح مع تركيا دون السلام مع الشعب السوري»⁽⁸⁾.

(7) محمد عباس ناجي، تركيا وإيران
الخصوم الأصدقاء مقال منشور على
الشبكة الدولية للمعلومات
(الانترنت)، بتاريخ 2011/8/22،
على الرابط الآتي: http://
www.aljazeera.net/
knowledgegate/opinions/2011

(8) Mohammad Hamad Al-
Katatshe Dr. Saddah Ahmad Al-
Habashneh Syrian-Turkish
Relations for the Period (2002-
2011) British Journal of
Humanities and Social Sciences
November 2011, p65
www.ajournal.co.uk/.../HS
volume2 (2)/HSVol.2%20(2).

(9) محمد عبد القادر خليل، الفاعل
المركزي: الإبعاد الإقليمية للموقف
التركي من الضربة العسكرية للأسد،
مقال منشور على الشبكة الدولية
للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 12/
2013/9، على الرابط الآتي: http://
www.rcssmideast.org/

فضلاً عن ذلك، فإن تركيا تبني حساباتها الإقليمية على أساس عدم إسقاط الرئيس السوري (بشار الأسد) سيجعل من (دمشق) مصدر تهديد دائم لـ(أنقرة)، ارتباطاً من ناحية بأن بقائه يعني عدم حسم الصراع التركي - الإيراني على أرض العمليات في سورية، ومن ناحية أخرى لما تشكله سورية نفسها من مخاطر على أمن تركيا، سواء لكونها أضحت «معادية» أو لكون هزيمتها للمعارضة وإفشال خططها الرامية إلى إسقاطها، تشكل نهاية للمشروع التركي في منطقة الشرق الأوسط⁽⁹⁾.

لا شك أن تغيير نظام الحكم في سورية، على وفق الحسابات التركية، قد يفضي إلى أن تغدو (أنقرة) الفاعل المركزي في المشهد السوري الجديد عن طريق علاقاتها الوطيدة مع حركة الإخوان المسلمين المسيطرة فعلياً على كافة هياكل المعارضة الأساسية، وعلى عمليات الوكالات المعنية بالمساعدة الإنسانية، وذلك عن طريق التحرك الميداني على أرض العمليات، بما

تدرك تركيا أن إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد يعني حسم التنافس (الصراع التركي - الإيراني) لصالح (أنقرة).

يجعلها الأكثر حضوراً في حال إجراء أية انتخابات مستقبلية في سورية وتدرك تركيا أن إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد يعني حسم التنافس (الصراع التركي - الإيراني) لصالح (أنقرة)، لما سيفضى إليه من تراجع النفوذ الإيراني، وضعف قدرتها على التأثير على المعادلة السياسية المستقبلية في سورية، والتي ستصاغ على وفق رؤى غربية ستؤدي تركيا دوراً أساسياً فيها، ولا سيّما بعد أن قبلت بنشر الدرع الصاروخية الأمريكية على أراضيها بالقرب من الحدود المشتركة مع الجمهورية الإسلامية في إيران⁽¹⁰⁾.

(10) المصدر السابق.

وبإزاء ذلك رأت تركيا إن تفرد إيران بالنفوذ في العراق خاصة بعد الانسحاب الأمريكي مع وجود نفوذ إيراني كبير في سورية سوف يطوقها بهلال نفوذ إيراني يمتد من حدود أرمينيا إلى ساحل المتوسط، لذلك عندما اندلعت الأزمة السورية لاحت لتركيا فرصة ذهبية لتصحيح موازين القوى لمصلحتها عن طريق إصرارها على إسقاط النظام المؤيد لإيران في (دمشق) وإنشاء نظام بديل يكون قريباً منها ويشكل حليفاً استراتيجياً لها⁽¹¹⁾.

وقد نهجت تركيا نهجاً متناغماً مع السياسات الغربية عامة والأمريكية خاصة تحديداً في المنطقة وتجلى ذلك في التطابق الكامل في الموقف بين (أنقرة) و(واشنطن) والتنسيق في كل الملفات في المنطقة⁽¹²⁾.

غير أن السياسة التركية مقيدة بكثير من المعوّقات التي تحول دون مشاركتها المباشرة على نحو مادي في الازمة، ولذلك لم تقدم تركيا السلاح للمسلحين، وإنما اكتفت بتسهيل مرور ذلك وبالقدر الذي تسمح به المعادلة الدولية إلى جانب الدعم السياسي الكامل واحتضان القوى السياسية للمعارضة السورية⁽¹³⁾.

وبموازاة ذلك كشفت القيادة الإيرانية بأن الحكومة التركية قد بدأت في مساعي إعادة علاقاتها مع الحكومة السورية مستعينة بوساطة إيرانية وعراقية، إلى جانب رسائل مباشرة صدرت عن مسؤولين كبار في (أنقرة)، تتحدث عن رغبة تركية بالتراجع عن مواقفها السابقة اتجاه سورية، لكن هذا التوجه مازال بحاجة إلى خطوات عملية تعزز القناعة بالتحول السياسي والحد من التدخل في الأزمة السورية⁽¹⁴⁾.

(11) مروان قبيلان، موقع السياسة والعلاقات الدولية في الصراع على سورية: تضارب المصالح وتقاطعها في الأزمة السورية، في مجموعة باحثين، خلفيات الثورة دراسات سورية، ط1 (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2013)، ص 488.

(12) العثمانية الجديدة.. الدور التركي في المنطقة العربية، مصدر سبق ذكره، ص 23.

(13) مازن هاشم، التحولات الكبرى في المشرق العربي (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2014)، ص 9.

(14) خيام محمد الزعبي التقارب الإيراني التركي وأثره على مستقبل الأزمة السورية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 2014/2/21، على الرابط الآتي: <http://www.syria-news.com/dayin/mosah/readnews.php%3Fid%3D10685>

2 - محددات الموقف الإيراني

**إن إيران تقف قيادة وشعباً
في خندق واحد إلى جانب
سورية وتؤكد مسانبتها لها
على كل الصعد ضد محور الشر
العدواني الذي يستهدفها.**

أعلنت الجمهورية الإسلامية في إيران عن دعمها الكامل للحكومة السورية، وهذا طبيعي ومفهوم في ظلّ التحالف القائم بين البلدين، وقد كان موقف (طهران) هذا مخالفاً لموقفها من ثورتَي مصر وتونس عندما أعلنت أن هذه الثورات تصبّ في استراتيجية الثورة الإسلامية ضد القوى

الغربية، أما في الحالة السورية فوضعت (طهران) الاحتجاجات الجارية والمطالبة بالتغيير في خانة المؤامرة الخارجية، وانطلاقاً من هذه الرؤية تحركت لتقديم الدعم المباشر لسورية، وقد برز هذا الدعم عن طريق المواقف السياسية والتغطية الإعلامية والدعم المالي والاقتصادي⁽¹⁵⁾.

كانت إيران القوة الإقليمية الأولى التي أعلنت دعماً غير محدود لسورية التي سبق ودعمتها في حربها مع العراق بين عامي (1980 و1988) وكان التحالف السوري الإيراني الذي أرسى في عهد الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد والإمام الخميني قد منح إيران منفذاً على المنطقة العربية وشرق البحر المتوسط⁽¹⁶⁾. وأن مصالح القوى الإقليمية بإزاء الأزمة السورية إذ أن اندلاعها كان بمثابة صدمة كبيرة لإيران التي وقفت إلى جانب سورية⁽¹⁷⁾.

وقد أعلنت وزارة الخارجية الإيرانية إن الإحداث في سورية تشكل جزءاً من مؤامرة غربية لزعة استقرار

الحكم في سورية وإضعاف محور المقاومة ضد الكيان الصهيوني، بعد ذلك أعلنت (طهران) معارضتها لأي تدخل خارجي في سورية⁽¹⁸⁾، وصرح نائب رئيس الجمهورية الإيرانية «إسحاق جهانجيرى قائلاً: «إن إيران تقف قيادة وشعباً في خندق واحد إلى جانب سورية وتؤكد مسانبتها لها على كل الصعد ضد محور الشر العدواني الذي يستهدفها، لكونها قلب المقاومة وبلداً محورياً ومهماً جداً في المنطقة والعالم»⁽¹⁹⁾.

فمع تصاعد وتيرة الأزمة السورية تعززت التصورات الإيرانية في قراءتها للوضع في سورية أن دوافع الولايات المتحدة الأمريكية من الانغماس بالأزمة السورية كان هدفه هو تغيير النظام في الجمهورية الإسلامية في إيران⁽²⁰⁾، وقد أكد وزير الخارجية الروسي (سيرجي لافروف) ذلك بقوله إن

(15) العلاقات الإيرانية - التركية: نقاط الاتفاق والاختلاف (الحالة السورية) نموذجاً، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، بتاريخ 2014/9/8، على الرابط الآتي: <http://almezmaah.com/ar/news-view-6703.html>

(16) موريل ميرك فايسباخ، جمال واكيم، السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ العام 2002، ط1 (بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014)، ص 186

(17) صحيفة إخبار الخليج، العدد (21725)، البحرين، بتاريخ 24/يناير/2013.

(18) موريل ميرك فايسباخ، جمال واكيم، مصدر سبق ذكره، 188 (19) على حسين باكير، معوقات التغيير: السياسة الإيرانية تجاه الأزمة السورية، مجلة السياسة الدولية، العدد (196)، (القاهرة، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2014)، ص 75

(20) نقلاً عن: نورهان الشيخ، الخوف من التغيير محددات سلوك القوى الداعمة للنظام السوري، مجلة السياسة الدولية، العدد (190)، (القاهرة، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2012)، ص 78.

أثبتت إيران بأنها أكثر قدرة على التكيف دائماً مع مشاكل عدم الاستقرار داخلياً وإقليمياً.

«المطالبة بتغيير النظام في سورية عبارة عن حلقة في (لعبة) جيوسياسية تقصد إيران أيضاً، وأكد أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني السابق (سعيد جليلي) «إن ما يجري في سورية ليس قضية داخلية، وأن إيران لن تسمح بأي شكل من الأشكال بكسر محور المقاومة الذي تعد سورية ضلعاً أساسياً فيه»⁽²¹⁾، وخلصت روسيا إلى أن سقوط النظام السوري وليس يعني إضعافاً لإيران التي غدت تشكل جزءاً أساسياً من استراتيجية (موسكو) لمواجهة المشروع الأميركي والدور التركي الصاعد⁽²²⁾.

(21) هدى رزق، الربيع العربي وإعادة صياغة التوازنات السياسية بين إيران وتركيا، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الرابط الاتي: <http://al-akhbar.com/node/183506>

(22) مروان قبلان، مصدر سبق ذكره، ص 482.

(23) هدى رزق، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

(24) محمد عباس ناجي، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

ومن جانب آخر، أثبتت إيران بأنها أكثر قدرة على التكيف دائماً مع مشاكل عدم الاستقرار داخلياً وإقليمياً، ومع تفاقم الأوضاع الصعبة بتأثير الأزمة السورية، ولا يزال بإمكانها التلاعب بخيوط تلك الأزمة وتصعيدها في حالة التدخل الأجنبي⁽²³⁾، ويبدو من الواضح، إن خريطة التحالفات والصراعات قبل اندلاع حركات التغيير كان لها دور كبير في تحديد مواقف وتحركات قرأت إيران هذه التطورات بدقة وحذر شديدتين لاعتبارين⁽²⁴⁾:

الأول: إنها تعني فرض مزيد من الضغوط على سورية لإجراء إصلاحات حقيقية.

والثاني: إنها تؤشر إلى أن التحرك التركي الجديد سوف يحظى بدعم من جانب المجتمع الدولي في المرحلة القادمة، والذي يبدو أنه لا يسعى فقط إلى الحصول على تأييد تركيا لفرض مزيد من الضغوط على الرئيس السوري بشار الأسد، وربما يكون ذلك هو الأهم، يطمح في أن تمارس تركيا دوراً أكثر قوة في تطورات الإقليم بهدف فرض حالة من الأهمية والنزخم على «نموذجها السياسي» بعده الأنسب للدول العربية التي تشهد موجات من التغيير والإصلاح الديمقراطي.

تعتمد استراتيجية المواجهة غير المتوازية وتدافع عن نفسها خارج حدودها عبر حزام من الدول والأذرع الإقليمية.

فضلاً عن هذا الجانب فإن إيران تعتمد استراتيجية المواجهة غير المتوازية وتدافع عن نفسها خارج حدودها عبر حزام من الدول والأذرع الإقليمية يوصلها إلى المتوسط وأعطى الحزام الذي تعده سورية فيه منزلة القلب من الجسد أهمية كبرى لإيران⁽²⁵⁾، عززت هذه الأهمية لسورية من أواصر التحالف بين البلدين الذي ازدادت وثوقاً مع الوقت، ولا سيما في ظل سعي

(25) على حسين باكير، مصدر سبق ذكره، ص 511.

إيران لتوسيع إطار نفوذها في الساحة العربية لينتقل من مرتبة «الحلف الاستراتيجي» إلى مرتبة «المصير الواحد» وقد استثمرت (طهران) ذلك ليكون:

**الاحتجاجات في سورية» بأنها
«نسخة مزيفة للثورات العربية»
وإنها «من صنع الولايات
المتحدة الأمريكية.**

1 - المدخل إلى القضية الفلسطينية.

2 - المدخل إلى الشعوب العربية.

3 - قناة التواصل مع حزب الله.

4 - أداة لموازنة الغرب⁽²⁶⁾.

(26) على حسين باكير، معوقات التغيير: السياسة الإيرانية تجاه الأزمة السورية، مصدر سبق ذكره، ص 75.

ويرى الإيرانيون أنهم مستهدفون من تغيرات محتملة في سورية تكون معادية لإيران وحزب الله في لبنان وتؤيد إيران وجهة النظر السورية الرسمية حول الإبعاد الخارجية للآزمة وتقدم الدعم إليها بمواجهة الاستهداف الخارجي، وقد وصف المرشد الأعلى السيد علي خامنئي «الاحتجاجات في سورية» بأنها «نسخة مزيفة للثورات العربية» وإنها «من صنع الولايات المتحدة الأمريكية»⁽²⁷⁾.

(27) عقيل سعيد محض، السياسة الخارجية التركية: الاستمرار والتغيير، ط1 (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 337.

في المقابل، لقد أصبحت إيران تدرك الحاجة إلى العثور على توازنات عبر تحالفات جديدة، وعلى هذا الصعيد تبلور تحالف جديد بين إيران وسورية والعراق وحزب الله، وهو تحالف ركيزته إيران التي تحتفظ بعلاقة أكثر من مؤثرة بمختلف أطرافه، في حين أن علاقة سورية بالعراق مثلاً كانت بالغة السوء قبيل اندلاع الأزمة السورية، ويلاحظ خروج فصائل المقاومة الفلسطينية من هذا التحالف، وبخاصة حركة حماس، على خلفية رهانها على انتصار مشروع «أخونة» النظام العربي، وهو ما دفعها إلى اتخاذ موقف (غير معلن) داعم للحرب في سورية بأفاقها الإخواني، ناقلة في اثر ذلك مقر قيادتها من (دمشق) عاصمة الممانعة إلى الدوحة عاصمة الاعتدال⁽²⁸⁾.

(28) مجموعة باحثين، احمد يوسف احمد، ونيفين مسعد، محررين، حال الامة العربية، (2011-2012) معضلات التغيير وافاقه ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص 13.

وقد تكيفت إيران إلى حد كبير مع المتغيرات الإقليمية الجديدة، إذ لديها القدرة على التكيف دائماً مع مشاكل عدم الاستقرار داخلياً وإقليمياً، ومع تفاقم الأوضاع الصعبة بتأثير الأزمة السورية، لا يزال بإمكانها التلاعب بخيوط تلك الأزمة وتضعيدها في حالة التدخل الأجنبي⁽²⁹⁾.

(29) هدى مرزوق، المصدر السابق.

ومن ناحية أخرى سيتأثر النفوذ الإقليمي لإيران سلباً من جراء تأثير الأزمة

إن تماسك اضلاع المثلث الذي يضم سوريا وإيران وحزب الله يشكل احد المعوقات الأساسية التي حالت دون إقدام الكيان الصهيوني على شن هجوم عسكري على إيران

السورية فمن المعلوم إن تماسك اضلاع المثلث الذي يضم سوريا وإيران وحزب الله يشكل احد المعوقات الأساسية التي حالت دون إقدام الكيان الصهيوني على شن هجوم عسكري على إيران . . . ، كذلك فأن سقوط نظام الرئيس (بشار الأسد) سيؤدي إلى حالة من التغيير الجذري في المنطقة وسيكون لذلك تداعيات مهمة على (طهران)

فالدولتان تدركان إن سقوط أحدهما سيكون مقدمة للتدخل الخارجي في شؤون الأخرى وربما إسقاطه⁽³⁰⁾ .

فقد كانت سورية تدرك أهميتها بالنسبة لإيران بوصفها حاجة حيوية لاستمرار تنامي النفوذ الإيراني الذي اخذ يتصاعد منذ احتلال العراق والحرب على أفغانستان وبوصفها أيضاً منفذ إيران الرئيس على الصراع العربي - الإسرائيلي وكونه ممر ترانزيت إجباريا بين هذه الأخيرة وحليفها الأهم في لبنان (حزب الله)⁽³¹⁾ .

ثانياً: مجالات التفاعل والتأثير بين إيران وتركيا في الأزمة السورية

إن القوى الفاعلة في المنطقة العربية انقسمت حيال الأزمة السورية ما بين طرفين، الطرف الأول: مؤيد لبقاء الرئيس السوري بشار الأسد، بوصفه عضواً فاعلاً في منظومة تحالف اكبر، سعى لإعادة ترتيب التفاعلات الإقليمية لمواجهة النفوذ الغربي، ورؤيته لإعادة هندسة التفاعلات الإقليمية. إما الطرف الآخر، فقد رأى فيها مخرجاً داخلياً للتحديات الإقليمية التي فشل في معالجتها من قبل، سواء بشكل سياسي أو عسكري على حين بات استمرار الأزمة والتحدي الذي يبيده النظام من اجل البقاء يطرح مخاطر أكبر تتجاوز البيئة السورية الداخلية لصالح مقومات الاستقرار الإقليمي في تلك المرحلة الحرجة التي تمر بها المنطقة⁽³²⁾ .

إن اختلاف الدورين التركي والإيراني في المشهد السوري له علاقة بالمحاور الاستراتيجية والصراع على المنطقة، فإيران ترى أن إسقاط النظام في سورية يشكل ضربة قاصمة لاستراتيجيتها وتحالفها المتين مع (دمشق) وصولاً إلى (حزب الله) في لبنان ومحاصرتها بالقوى الإقليمية القريبة من الاستراتيجية الغربية، وعليه تعلن أن إسقاط النظام في سورية خط أحمر، ومن الواضح

(30) احمد قنديل، مستويات متعددة: التأثيرات المحتملة للازمة السورية، مجلة السياسة الدولية، العدد (190)، (القاهرة، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2012)، ص 61.

(31) مروان قبلان، مصدر سبق ذكره، ص 468.

(32) علاء سالم، ادوار متقاطعة: تأثير العوامل الخارجية في مسار الأزمة السورية، مجلة السياسة الدولية، العدد (188)، (القاهرة، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2011)، ص 113.

Jubin Goodarzi, Syria and Iran: Alliance Cooperation in a Changing Regional Environment, 22/10/2013, <http://www.orsam.org.tr/en/showArticle.aspx%3FID%3D2138>

أنّ (طهران) تراهن على أنّ الحل الأمني سيمكن النظام من عبور أزمته، وعليه تمده بالدعم اللازم⁽³³⁾.

(33) خورشيد دلي، أين إيران وتركيا من الأزمة السورية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 9/5/2014، على الرابط الآتي: www.orsam.org.tr/en/showArticle.aspx?ID=107 audiinfocus.com/ar/

وقد تضررت العلاقات الإيرانية التركية بسبب تباين موقفهما حيال سورية في أزمته عام 2011، ففي بداية الأزمة أيدت تركيا النظام في سورية، ورهنت هذا الدعم بالإصلاح، في حين قدمت إيران دعماً غير مشروطاً للنظام في سورية، ووصفت المعارضة ضده على إنها جزء من «مخطط صهيوني» يهدف لتدمير «جبهة المقاومة»، واتهمت إيران تركيا بأنها تتدخل في الشؤون الداخلية السورية وتسعى لخدمة المصالح «الإمبريالية الغربية» هناك⁽³⁴⁾.

(34) العلاقات الإيرانية التركية: الأفاق والقيود، ترجمة شادي عبد الوهاب، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الرابط الآتي: www.baghdadcenter.net/details-107.htm

وقد عزز الموقف الإيراني التأييد الصيني المؤيد بحل الأزمة السورية بالوسائل السلمية وهو ما تحدثت عنه عن طريق إعلان وزارة الخارجية الصينية «إن سورية بلد مهم في الشرق الأوسط وأنه يجب الحفاظ على الاستقرار فيه وأن جميع المشاكل يجب إن تحل عن طريق الحوار الداخلي من دون أي تدخل من قوى خارجية لأن من شأن ذلك إن يؤدي إلى تعقيد الأزمة»⁽³⁵⁾.

(35) نقلا عن: موريل ميرال فايسباخ، وجمال واكيم، مصدر سبق ذكره، ص 191

يضاف إلى ذلك حالة الانتقائية في معالجة جامعة الدول العربية لحركات التغيير، وبغير أسس معيارية واضحة بسبب التناقض بين المواقف وإبقاء المشكلات العربية في داخل المظلة العربية، وبين إنها تدعو لتدويل المشكلة... وعندما أعلنت (داعش) عن تأسيس ما يسمى «دولة الخلافة»، بدأت الجامعة تتحرك في تطوير مواقفها، ولكن ظهرت التغيرات النوعية في مواقف بعض الدول العربية، والتي عكست أن الجامعة لم تعد المنظمة الأكفأ في مواجهة هذا الخطر ولا بالتكيف القانوني الصحيح، وإنها لم تعد الإطار التنفيذي الكامل للتسوية والحل⁽³⁶⁾.

(36) مستقبل دور المنظمات الإقليمية في الصراعات "المشتعلة" في الشرق الأوسط، حلقة نقاشية نظمتها وحدة العلاقات السياسية الإقليمية في المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية بالقاهرة، يوم الأربعاء الموافق (26 نوفمبر 2014)، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، على الرابط الآتي: [www.rcssmid-east.org/...](http://www.rcssmid-east.org/)

وفي ضوء ذلك تحركت الجمهورية التركية في كل الاتجاهات لإسقاط هذا نظام الحكم في سورية، فتحوّلت الأزمة السورية إلى حرب باردة بين (طهران) و(أنقرة) في لحظات كثيرة، إذ بدأنا نسمع رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو يتحدث عن انتهاء عهد «الإحياء الشيعي» وبدء عهد «الإحياء السني»، على حين ترد (طهران) «لو خيّرنا بين تركيا وسوريا فسنختار سوريا بالتأكيد»، وأن مسألة إسقاط النظام خط أحمر⁽³⁷⁾.

(37) التقارب الإيراني التركي دوافعه ومستقبله، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 11/يونيو/2014، على الرابط الآتي: <http://www.islamist-movements.com/> 2764

ونظراً لهذه الاختلافات، رفضت تركيا تطوير علاقاتها مع إيران إلى المستويات الإقليمية والاستراتيجية، فلم تدعو تركيا إيران لإقامة مجلس أعلى للتعاون الاستراتيجي^(*)، وفشلت الدولتان في مأسسة التعاون الإقليمي بينهما على الرغم من المواقف المتشابهة في بعض الأحيان، فمثلاً دعا المسؤولون الإيرانيون إلى التعاون الإقليمي بين العراق وتركيا وسوريا وإيران، غير أن تركيا فضلت التعامل مع سوريا والعراق في إطار ثنائي، وهو واضح من مبادرتها لإقامة منطقة اقتصادية مشتركة تضم سوريا والعراق ولكن لا تتضمن إيران⁽³⁸⁾.

ولقد مثل الموقف التركي صدمة للجانب الإيراني، دفعت الإيرانيين إلى إعادة النظر في طبيعة العلاقة مع تركيا، ولا سيما إن الأخيرة واصلت تفتيش الطائرات الإيرانية المتجهة إلى سورية، وتولت مهمة ترتيب الضغوط الغربية على سورية، الأمر الذي دفع إيران إلى القول إنها ستستهدف قواعد الناتو في تركيا إذا قام الناتو بعمل عسكري ضد سوريا⁽³⁹⁾، ولقد تبلور رد الفعل الإيراني الدبلوماسي على الموقف التركي من الأزمة السورية أكثر وضوحاً، إذ دعت إيران إلى نقل المحادثات المتعلقة بملفها النووي من اسطنبول الراحية له إلى بغداد⁽⁴⁰⁾.

وضمن هذا السياق الجيوسياسي، مثلت الأزمة السورية مفرق طريق في مستقبل النفوذ الإيراني في المنطقة، وليس ذلك لأن الإمساك بسورية هو معركة صفرية إما أن تربح منها إيران ربحاً كبيراً أو تخسر خسارة هائلة فحسب، وإنما أيضاً لأنه يعني تقلص الفضاء الجيوسياسي لإيران وتوسع الفضاء الجيوسياسي لتركيا، وأولا وأخيراً تعد إيران تركيا قوة إقليمية منافسة تاريخياً⁽⁴¹⁾.

وعليه تمتلك تركيا المؤهلات التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية اللازمة كي تنجح في تأدية ما يطلق عليه دور المرجعية الإقليمية في الشرق الأوسط، فهي تقدم أفضل أنموذج سياسي للتناوب على السلطة في المنطقة⁽⁴²⁾.

كذلك شكل الموقف الأمريكي من الأزمة السورية، والذي انتهى بالتوافق مع روسيا على حل الأزمة السورية سياسياً، شكل خيبة أمل تركية بإزاء قضية إسقاط النظام في سورية⁽⁴³⁾.

(*) تمّ في العام 2009 إنشاء مجلس تعاون استراتيجي، وهو عبارة عن مجلس يرأسه رئيس حكومة سورية أو تركيا (حسب مكان انعقاده)، ويضمّ 16 وزيراً من البلدين (الخارجية، الداخلية، الدفاع، الطاقة، التجارة، النقل والزراعة الأشغال العامة، ويمكن أن يضمّ غيرهم عند الضرورة كالسياسية)، ويعقد جلسنتين سنوياً (واحدة في كل بلد)، ويهدف إلى إنجاز استحقاقات العلاقات الاستراتيجية بين البلدي: وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: Veysel Ayhan, «Turkey-Syria High Level Strategic Cooperation Council Period», ORSAM, 8/12/2009:

(38) العلاقات الإيرانية-التركية: نقاط الاتفاق والاختلاف (الحالة السورية)، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

(39) عقيل سعيد محفوظ، مصدر سبق ذكره، ص 336.

(40) صحيفة القدس العربي، السنة الثالثة والعشرون، العدد (8004)، لندن، بتاريخ 2012/4/18.

(41) مازن هاشم، مصدر سبق ذكره، ص 99

(42) الهادي غيلوفي، تعاطف الدور الإقليمي لتركيا (مقوماته وبعادة ومظاهره وحدوده) مجلة المستقبل العربي، العدد 384 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص 161.

(43) التقارب الإيراني التركي دوافعه ومستقبله، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

تعد إيران تركيا قوة إقليمية منافسة تاريخياً.

غير أن المشكلة تمثلت بان قضايا التعاون بين تركيا وإيران كثيرة، على الرغم من إنها تأخذ شكل التنافس في الكثير من المجالات والمواقع، فمن دول آسيا الوسطى إلى أفغانستان والعراق وسورية إلى الحدود المشتركة، ثمة قضايا تأخذ شكل التعاون والتنسيق الأمني في مواجهة القوى والمجموعات التي تشكل تحدياً أمنياً مشتركاً، وهي قضايا وثيقة الصلة بالحدود وأمن الطاقة والاقتصاد والجغرافيا التي تحمل مشكلات اجتماعية وقومية وطائفية (الأكراد على جانبي الحدود، فضلاً عن العراق وسورية) والخلاف السني - الشيعي⁽⁴⁴⁾.

(44) خورشيد دلي، العلاقات التركية الإيرانية والمعضلة السورية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الرابط www.aljazeera.net الاتي:

وفي الواقع، فإن هذه الشراكة تكتسب أهمية خاصة لدى الطرفين، فإيران بالنسبة لتركيا «خصم لا يمكن معاداته»، لأن ذلك فيه تهديد لمصالح تركيا الساعية إلى ان تؤدي دوراً محورياً في معظم الملفات الساخنة في منطقة الشرق الأوسط، عن طريق انتهاج سياسة «تصفير الأزمات»، و«التحالقات المفتوحة» القائمة على بناء قنوات تواصل مع كل القوى الموجودة في المنطقة بدءاً من (إسرائيل) مروراً بسورية ومصر والسعودية وانتهاءً بإيران وكل من «حزب الله» اللبناني وحركة «حماس» الفلسطينية⁽⁴⁵⁾.

(45) العلاقات الإيرانية-التركية: نقاط الاتفاق والاختلاف (الحالة السورية)، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

كذلك تبدو تركيا بالنسبة لإيران خصماً لا يمكن معاداته ويعود ذلك لعدة اسباب منها:

أولاً: أن تركيا عضو في حلف الناتو وحليف مهم لـ(إسرائيل) والغرب، بما يعني أن «احتواءها» هو أفضل وسيلة للتفاعل معها، لأن غير ذلك يعني الدخول في صراعات غير متوازنة معها.

ثانياً: تعد تركيا ظهيراً إقليمياً مهماً استطاعت إيران من خلاله، في بعض المراحل، تقليص حدة الضغوط الدولية والإقليمية المفروضة عليها بسبب طموحاتها النووية والإقليمية، وهو ما بدا جلياً بشكل خاص في المساعي التي بذلتها (أنقرة) بهدف التوصل لتسوية سلمية لأزمة الملف النووي الإيراني، إذ وقعت يوم 17 مايو/ أيار 2010 على «الاتفاق النووي الثلاثي» مع كل من إيران والبرازيل، وفي اعتراضها على فرض عقوبات جديدة على إيران من داخل مجلس الأمن⁽⁴⁶⁾.

(46) محمد عباس ناجي، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

ولا شك إن محاولات الاصطفاف الإقليمي التي تقودها إيران مؤخراً، مع (دمشق) بالتعاون مع (بغداد) ضد التوجهات والمشاريع التركية الجديدة حيال

للحرس الثوري الإيراني موقف واضحاً وقوي من الدور التركي في الأزمة السورية ينسجم مع توجيهات المرشد الأعلى والرسائل الإيرانية المرسلة لتركيا.

سوريا وإيران والمنطقة، إذ حملت زيارة وزير الخارجية السوري وليد المعلم إلى بغداد نهاية أغسطس/ آب 2011 ومباحثاته مع رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي بين ثناياها إحياءات بجهود تمهيدية لحوار ثلاثي موسع يضم إيران بغرض بلورة استراتيجية حازمة لحمل الحكومة التركية على مراجعة مواقفها وحساباتها بإزاء الدول الثلاث،

ومشاركتها في الدرع الصاروخية⁽⁴⁷⁾.

وفي رد منها على ذلك الاضطفاف الإقليمي الجديد، انبرت الحكومة التركية لإعادة صياغة تحالفاتها الإقليمية، فعرض وزير خارجيتها على مصر «الجديدة» تأسيس ما أسماه «محور ديمقراطية» جديد في الشرق الأوسط، يكون بمثابة رافعة لتحالف بين (أنقرة) و(القاهرة) بعد أن ارتبكت تحالفات تركيا مع سوريا و(إسرائيل)، الأمر الذي علقت عليه صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية بالقول: «إن نظاماً جديداً في منطقة تموج بالثورات قد بزغ»⁽⁴⁸⁾.

على أي حال، مثل هذا التطور إلى بداية تشكل محور الموازنة واعتمد المحور التركي القطري منهجاً وسطاً يأخذ بالاعتبار عمق التغيير فلا يتنكر له، ويأخذ بالاعتبار التوجه الدولي، فلا يتعامى عما يستدعيه موقفه، وخلافاً لغيره، ركز همه على التمهيد لإصلاح المستقبل لا التمسك بذكريات ماض ولا لم تعد تصلح وسائله⁽⁴⁹⁾.

كان للحرس الثوري الإيراني موقف واضحاً وقوي من الدور التركي في الأزمة السورية ينسجم مع توجيهات المرشد الأعلى والرسائل الإيرانية المرسلة لتركيا، إذا نشرت مجلة «صبح صادق» التابعة للحرس الثوري مقالاً بعنوان: موقف إيران الحازم في وجه الإحداث في سورية، يحمل تهديدات لتركيا ويحذرهما في الوقت نفسه من موقفها بإزاء سورية، مؤكداً على وقوف إيران القاطع مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد⁽⁵⁰⁾.

ومقابل ذلك اكتسب التعارض الإيراني التركي بعداً إقليمياً أعمق وابعد من الحدث السوري وبما يعكس الأهمية الجيوبولتيكية لسورية في المنطقة من جهة، ويشير إلى حجم الاختلاف الإيراني التركي وماهيته من جهة أخرى، عندما أعلن إن على تركيا ان تعيد التفكير في سياساتها بشكل جذري خاصة في ما يتعلق بسورية و(رادار) الناتو ونشر نموذجها للعلمانية الإسلامية في

(47) بشير عبد الفتاح، الربيع العربي والعلاقات التركية الإيرانية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 21/11/2014، على الرابط الآتي: www.aljazeera.net/.../11/...

(48) المصدر السابق.

(49) مازن هاشم، مصدر سبق ذكره، ص16.

(50) على حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الإيرانية التركية: المآزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة، (سلسلة تقييم حالة)، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 18.

(51) علي حسين باكير، الإبعاد الجيوستراتيجية للسياسيين الإيرانية والتركية حيال سورية، في مجموعة باحثين، خلفيات الثورة دراسات سورية، ط1 (بيروت، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص530.

(52) علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الإيرانية التركية: المآزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة، مصدر سبق ذكره، ص19.

(53) محمد عباس ناجي، مصدر سبق ذكره (الانترنت).

العالم العربي وإلا سيكون عليها مواجهة المشكلات⁽⁵¹⁾، ولعل أبرزها ما عبر عنه المستشار العسكري للمرشد الأعلى (علي خامنئي) اللواء يحيى صفوي الذي طالبها في الموضوع السوري بـ «تغيير جذري في موقفها وخيرها بين إعادة النظر في سياساتها بشأن الدرع الصاروخية ودعم الإسلام العلماني أو كواجهة عواقب ذلك»⁽⁵²⁾.

وقد تفاقمت التوترات بين تركيا وإيران بسبب الخلافات بشأن القضية الكردية، فتركيا وإيران لديها بعض المصالح المتقاربة بشأن المسألة الكردية، لكن التوترات الأخيرة بشأن سوريا جعلت التعاون بشأن القضية الكردية أكثر صعوبة⁽⁵³⁾.

فمنذ اندلاع موجة الاحتجاجات الأخيرة، احتضنت (أنقرة) قادة وكوادر العديد من القوى السياسية السورية، وسمحت لهم بتنظيم مؤتمرات وطنية في (إسطنبول) وأنطاكية للاتفاق على خريطة طريق للأزمة السورية، وهو ما أدى إلى حدوث فتور في علاقاتها مع كل من (دمشق) و(طهران)، في هذه اللحظة تحديداً، بدأت إيران في انتهاج سياسة جديدة تقوم على فرض ضغوط على تركيا لإقناعها بضرورة تخفيف لهجتها المتشددة اتجاه سورية، واستعملت في هذا السياق «الفزاعة الكردية» عن طريق توجيه تحذيرات إلى (أنقرة) باحتمال أن تجد نفسها في مواجهة الأكراد السوريين والأتراك في آن واحد في حال سقوط النظام السوري، وقد بدت الهجمات المتتالية التي شنتها قوات الحرس الثوري الإيراني على مواقع تابعة لحزب «بيجاك» الكردي داخل الأراضي العراقية، في أواخر يوليو/تموز 2011، رسالة واضحة لـ(أنقرة) مفادها أن إيران تمارس دوراً مهماً في مواجهة المشكلة الكردية التي تؤرق تركيا، وأنها يمكن أن تغير موقفها في حالة استمرار تشدد أنقرة مع دمشق⁽⁵⁴⁾. وفي سياق متصل اعرب الرئيس التركي في تصريح له في زيارته التي بدأها أثناء مفاوضات أردوغان في (طهران) إلى (روما)، كاشفاً عن الهدف من زيارة روحاني إلى أنقرة وقال إنها ستتم في 28 شباط/فبراير 2014، مؤكداً إن على إيران وتركيا التعاون في بذل الجهود لتسوية الأزمة السورية، وأشار إلى وجود فرص متاحة لحل الأزمة السورية قائلاً: «إننا إذا تعاوننا بجدية وإخلاص يمكننا طرح مبادرة على المجتمع الدولي للحل في سوريا، فنحن يمكننا جر الغرب للموافقة وإيران يمكنها إقناع الطرف الآخر»⁽⁵⁵⁾.

(54) تقارب إيران وتركيا هل سينتهي الأزمة السورية، مصدر سابق (الانترنت).

أحد أهم القيود على تطور العلاقات التركية الإيرانية هو الاختلاف الهيكلي بينهما خاصة تحالف تركيا الاستراتيجية مع الغرب، الذي تنظر إليه إيران على أنه تهديد وجودي لها

وفضلاً عما تقدم، يمكن القول أن أحد أهم القيود على تطور العلاقات التركية الإيرانية هو الاختلاف الهيكلي بينهما خاصة تحالف تركيا الاستراتيجية مع الغرب، الذي تنظر إليه إيران على أنه تهديد وجودي لها، ويمكن تفسير التوتر الحادث مؤخراً في العلاقات التركية الإيرانية في ضوء إعادة تحالف تركيا مع الغرب والسياق الإقليمي الناشئ مؤخراً والمتوافق كذلك مع المصالح الغربية، وهو الحال في سوريا، ومن ثم فإن السياق الإقليمي الذي ساعد على تحسن العلاقات التركية الإيرانية يشهد الآن تحولات كبيرة ستؤدي في النهاية إلى تراجع هذه العلاقة وفتح الباب مرة أخرى أمام مصادر جديدة للتوتر⁽⁵⁶⁾.

(56) العلاقات الإيرانية التركية: الأفاق والقيود، مصدر سابق (الانترنت).

ثالثاً: مستقبل الأزمة السورية وانعكاساتها على إيران وتركيا

في ضوء مجريات الأحداث المشار إليها إن الحالة السورية والتي جاءت في سياق حركات التغيير تمتاز بتعقيدها عن مثيلاتها في العالم العربي وذلك لانتقال محور التركيز عليها من جانب الدول الكبرى إلى جانب بعض دول الإقليم ومالها من اثر في تحولات التوازن في المنطقة والتي كانت من أبرز ملامحها عدم الاستقرار بسبب التدخلات الإقليمية والدولية، لذا سوف يكون حديثنا عن مستقبل الأزمة السورية متضمناً لثلاثة سيناريوهات مستقبلية استناداً إلى متابعة الوقائع وكالاتي:

1. سيناريو تفكك وانهيار الدولة السورية

يفترض هذا السيناريو تفكك وانهيار الدولة السورية إلى عدة دويلات أو كيانات ذات حكم ذاتي يكون طابعها على أساس قومي مذهبي نتيجة ظهور مناطق تخضع لسيطرة جهات مختلفة مما يساعد ذلك على احتفاظ كل طرف بمناطق نفوذه وسيطرته، فبالنسبة إلى تركيا لا تتأثر كثيراً على وفق معطيات هذا الاحتمال إذ هناك فرصة يمكن لتركيا اقتناصها وتمثل في نشوء دول أو كيانات سنية يمكن أن تمثل شريكا استراتيجيا محتملا لتركيا، وهو تطور من شأنه قيامها بإعادة ترتيب المشهد الإقليمي لصالحها، وبالتالي، فإن ترتيبات ما بعد النظام السوري باتت تشغل تركيا فهي تخشى من إن يؤدي ذلك قيام كيان ذات حكم ذاتي أو دولة كردية على أطراف حدودها، وبالتالي يتجه أكراد تركيا إلى المطالبة بإعلان استقلالهم أو الحصول على حكم ذاتي،

فضلاً عن ذلك إن دولة ذات طابع إسلامي تتمركز فيها الجماعات المتطرفة يمكن يشكل ذلك مصدر قلق مما يفضي لحدوث مشكلات أمنية عديدة لـ(أنقرة)، على وفق ما حصل في مصر وليبيا وتونس واليمن، فضلاً عن سياساتها المعادية لسورية والتي تشكل حافزاً لتصاعد التوتر العرقي على أرضها من قبل مواطنيها (العلويين) ضد سياسات الحكومة ربما يؤدي لزيادة الاحتقان الداخلي إذ وجود دولة (علوية) قوية مع كيانات ضعيفة يعني عملياً استمرار الصراع بتغلب نزاعات الانفصال.

في المقابل، فإن إيران قد تتضرر بالفعل مصالحها في حالة تفكك وانحيار سورية إلى كيانات أو دول فهي سوف تخسر حليفاً استراتيجياً مهماً في المنطقة وساحة مواجهتها وتقليص ساحة نفوذها في المنطقة وربما يؤدي إلى فقدان همزة الوصل مع لبنان (حزب الله) وفلسطين (حركتي حماس والجهاد) وبالتالي ليس فقدانها لطرف واحد وإنما لثلاث أطراف، وإن وجود الجماعات الإسلامية الأصولية المتشددة، ونتيجة لتوجهات وممارسات تلك الجماعات على نحو ما حصل في بلدان عربية وإسلامية من بينها العراق وأفغانستان وغيرها، شكل مصدر قلق خشية أن يمتد نفوذ هذه الجماعات لأراضيها وبالتالي يفرض على إيران الدخول على الخط لتقديم الدعم لحليفها من أجل تحقيق حضورها ونفوذها في المنطقة وتشاطر إيران تركيا مخاوفها بخصوص القضية الكردية، ولتلافي تأثيرات تقلص نفوذ حليفها تلجأ إيران إلى إيجاد حليف يمكن من خلاله تعويض ما خسرت.

2. سيناريو استمرار الأزمة باتجاهاتها الحالية

يستند هذا السيناريو على افتراض استمرار الوضع الحالي لسورية على ما هو عليه وذلك لأدراك كل من إيران وتركيا بالمكاسب التي يمكن الحصول عليها من استمرار الأزمة بحالتها الحالية وذلك لكون الأزمة السورية محكومة بمعادلات إقليمية ودولية ومحسوبة بموازين القوى، فقد استطاعت

إيران من استغلال الأزمة السورية عن طريق انتزاع الاعتراف الإقليمي والدولي بها كقوة إقليمية فاعلة ومؤثرة، فضلاً عن ذلك استطاعت من الولوج إلى الداخل العربي والخروج من العزلة الإقليمية والتقارب وإعادة علاقاتها مع معظم الدول العربية والتي كانت تشوبها التوجس والمخاوف محاولة

**استطاعت إيران من استغلال
الأزمة السورية عن طريق
انتزاع الاعتراف الإقليمي
والدولي بها كقوة إقليمية
فاعلة ومؤثرة**

بذلك الحصول على تأثير دائم على الوضع الراهن ويسمح لها بان تمارس دورا مهما وسمح لها الحضور بقوة في المنطقة وعزز الدور الإيراني الموقف الروسي الدعم لها، ويمكن أن تستعمل إيران استمرارية الأزمة كورقة ضاغطة في المفاوضات حول برنامجها النووي لتحقيق أكثر قدر من المكاسب فضلاً عن كسب المزيد من الوقت نحو تحقيق تقدم في برنامجها، إما تركيا تبني حساباتها الإقليمية على أساس أن استمرار الوضع باتجاهاته الحالية سوف سيتيح لها ذلك لتكون أكثر حضوراً في المشهد السوري وبالتالي الحيلولة دون عزلها إقليمياً أو تقويض دائرة نفوذها، ولا سيما وإنها تطمح لتكون نموذجاً للحكم للدول التي شهدت حراكاً سياسياً في المنطقة، فهي لا تخشى سقوط (الأسد) مثلما ما يراء البعض فهي تخشى حالة الفوضى، وتفضل سورية ضعيفة أفضل حالاً لما يشكله لها النظام من مخاطر على أمنها، فضلاً عن ذلك إنهاء للمشروع الإيراني للتوسع في المنطقة، وانتزاع القوة الإقليمية من إيران بوصفها الموازن الاستراتيجي وقد ساعدها الموقف الأمريكي والأوروبي الداعم لها لتكون كأحد المحاور الأساسية الفاعلة بمسار الأزمة السورية.

إنهاء للمشروع الإيراني للتوسع في المنطقة، وانتزاع القوة الإقليمية من إيران بوصفها الموازن الاستراتيجي.

3. سيناريو التغيير نحو إقامة علاقات متوازنة

هذا السيناريو يفترض إدراك كل من إيران وتركيا بضرورة المزيد من التعاون والتنسيق مع الطرف الآخر بخصوص القضايا في المنطقة والاتجاه نحو علاقات متوازنة تضمن مصالحهما دون الدخول في تصعيد فيما بينهما، فقد تسعى تركيا لاستعمال بعض الأوراق في المنطقة والمؤثرة كالتراجع من موقفها الداعم للجماعات المسلحة في سوريا وإيقاف دعمها للمعارضة السورية بأسلحة نوعية ودفع مزيد من المقاتلين وربما فتح جبهة داخل لبنان عبر حلفائها تستهدف بها حزب الله والعمل على إنهاء العنف في العراق والضغط على إيران فضلاً عن ذلك تجلّي ذلك بالموقف التركي من البرنامج النووي الإيراني والقيام بوساطة مع الدول الغربية واتفق الطرفين على تفادي الطابع الطائفي للصراع في سوريا وبتغيير موقفها من المسألة السورية التعاون إما نحو والتنسيق مع إيران لملء الفراغ الناجم في المنطقة بسبب التراجع لبعض القوى وانشغال الدول العربية بقضاياها الداخلية وعجزها من القيام بأدوارها، في المقابل تلجأ إيران إلى تقليل الضغط على دول مجلس التعاون

الخليجي في اليمن أو في مسالة البحرين عن طريق إيقاف التصعيد في اليمن والذي سينعكس بطبيعة الحال على مواقف تركيا ودول مجلس التعاون فضلاً عن عدم تحريك سورية للطائفة العلوية في تركيا وكذلك عدم استعمال الورقة الكردية للضغط على تركيا إذ سوف تكتسب إيران من توتر العلاقات بين تركيا والكيان الصهيوني إيقاف الضغط على حلفائها في المنطقة.

ومن هنا يرجح الباحث السيناريو الثالث (التغيير نحو إقامة علاقات متوازنة)، وهو يعد مرجحاً في المستقبل القريب، إذ باتت الأمور تتغير منذ اندلاع الأزمة إلى نقطة تحول لقناعة كل من إيران وتركيا بمصالحهما المتقاربة وأمنهما والتي تذهب بالعلاقات بين البلدين بمزيد من التعاون والتنسيق بدل التنافر وبما تفرضه عليهما طبيعة المدخلات التي باتت تشهدها المنطقة وتعزيزاً لدورهما كقوة إقليمية فاعلة فضلاً عن ذلك أنه يحقق مصالح القوى الكبرى.

فمن المتوقع إن يزداد التعاون والتقارب الإيراني التركي في الفترة المقبلة وخصوصاً في ظل تراجع الموازين العربية.

وختاماً، عن طريق ما تقدم يتبين لنا على الرغم من حالة التغيير التي تعرضت إليها المنطقة العربية والتي فاجأت الجميع بسرعة امتدادها إلا أن امتداد الأزمة إلى الداخل السوري فاجئه الجميع وخاصة بالنسبة لكل من إيران وتركيا نظراً للأهمية التي تمثلها سورية لكل منهما إذ تشكل نقطة ارتكاز ونقطة لتلاقي مصالحهما، فقد أصبحت ساحة يقوم كل فريق بتوظيف نفوذه من أجل الاستفادة من تطورات الأحداث في الأزمة السورية ونظراً لكثرة الأطراف الضالعة بالأزمة أعطاها ذلك بعداً إقليمياً، وأدى المحور الروسي والصيني كمحدد في الأزمة السورية إلى أعطاها بعداً دولياً.

إذ اسهم ذلك التعقيد في عدم إيجاد اتفاق كمنخرج للآزمة إذ إن قاعدة المصالح المشتركة للطرفين الإيراني والتركي تدفع بهما إلى موازنة مصالحهما في سياستهما من أجل الاستفادة على المستويين الإقليمي والدولي فمن المتوقع إن يزداد التعاون والتقارب الإيراني التركي في الفترة المقبلة وخصوصاً في ظل تراجع الموازين العربية وعلى الرغم من حدة الأزمة السورية بين الطرفين والتحالفات المتعارضة إلا أنه تبقى هنالك المصالح المشتركة والحيوية بين البلدين وخاصة في القضايا الجوهرية في المنطقة.